تكرست هيمنة الفصائل الفلسطينية المسلحة على م.ت.ف.! وبعد ذلك بستة شهور انعقدت الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني (القاهرة، شباط ـ فبراير ١٩٦٩) وفيها تم تأكيد هيمنة الفصائل المسلحة نهائياً على قيادة م.ت.ف. وكافة مؤسساتها. وبذلك تم توحيد الجهدين، السياسي والعسكري، في زمام قيادة واحدة. وهكذا، فان تشكيل م.ت.ف. جاء، في الأساس، نتيجة لاتفاقات ودية، وغير ودية (انشقاقات حركة القوميين العرب)، بين مجموع فصائل فلسطينية مسلحة، تلاقت مصالحها حول ضرورة قيادة المنظمة.

ومع انتزاع المنظمات الفلسطينية لقيادة م.ت.ف.، والتمكن من الهيمنة النهائية عليها، ثابرت المنظمات، ايضاً، على الاحتفاظ كلٌ بآرائه السياسية والنظرية رغم تباينها.

وبذلك جاءت ولادة م.ت.ف. ولادة غير طبيعية عبر ظروف الهجرة واللجوء، واضطرار الجسم الرئيس لـ م.ت.ف. وقيادتها وفصائلها الى التواجد والعمل خارجاً عن ارضه، ليخوض غمار ثورته من اللجوء والغربة.

وعلى الرغم من الاهمية الفائقة لصيغة التحالف في إطار م.ت.ف.، فان ما أحدثته هزيمة ١٩٦٧ كان له الأثر الحاسم في بروز المنظمة كضرورة سياسية عسكرية. ولكن المنظمة بالرغم من نموها المطرد، والمتزايد منذ ١٩٦٧، فان سمات ولادتها بقيت تلازمها، سواء من حيث صيغ التحالفات الفلسطينية ـ الفلسطينية أو التحالفات الفلسطينية ـ العربية.

ان تطور صيغ التحالفات بين الفصائل الفلسطينية ضمن م.ت.ف. ومؤسساتها، وعبر مؤتمرات المجالس الوطنية الفلسطينية السابقة، يكشف الطبيعة والاسباب الحقيقية لاعتماد القرارات غير الواضحة، او تلك التي تحتمل اكثر من تفسير، او اسقاط وثائق دون الاعلان الصريح عن اسقاطها. وكل ذلك كان يتم دون الاخلال بالمسار العام للحركة السياسية بشموليتها، كون هذه الحركة ليست أمام خيارات جدية، من خيارات تسوية القضية الفلسطينية. الا ان ذلك لم يمنع بعض الاجتهادات، في مناسبات كثيرة، من أن تتطور حتى تصل الى حد الاشتباكات الدامية بين الفصائل المتعارضة.

صراع الارادات

تطورت م.ت.ف. خلال العشرين سنة الماضية من عمرها، عبر طريق الجلجلة. فمن خلال التجربة والخطأ، النمو والصراع، تكرست الخطوط الرئيسة العريضة للحركة السياسية الفلسطينية، ونمت، بشكل متمايز، اسس ديمقراطية من نوع خاص! ديمقراطية اكتسبت عمقها، وقيمتها، في ظل المشاركة بالعمل المسلح، وبروز القيادات عبر الصراع، ومن أجل خدمة اهدافه. وبذا إستحال تشييء الديمقراطية الفلسطينية، او تجريدها من قيمتها الحقيقية.

لم تأت الديمقراطية في العمل الفلسطيني كنتيجة لتطور سياسي، او أيديولوجي مسبق، كما لم تكن منحة من حاكم صاحب قرار، بل ان طبيعة المشاركة المسلحة في اداء التنفيذ أملت ضرورة حق المشاركة في ابداء الرأي، ومناقشة إتخاذ القرار؛ وبهذا غدت الديمقراطية الوجه الآخر للفعل الثوري، والذي بدونها يفقد هذا الفعل ماهيته. وساعد بروز الديمقراطية كتوأم لتطور المنظمة وصراع الارادات فيها على صعوبة إشاعة التضليل، مما جعلها في منأى عن المتاهات الطائفية والاقليمية، والعصبوية العمياء، النقيضة لأي جو علماني تعليه